حريات

من الاعلام التحريضي إلى الأبونا ـ المطاوع... أوقفوا هذه الدعوشة!

بيار أبي صعب

«المركز الكاثوليكي للإعلام يستنكر التعرض للديانة المسيحية في إحدى المسرحيات»... يا لهوي! ماذا حصل ونحن غافلون؟ تقرأ الخبر فتستعيذ بالله! من هو الكافر الزنديق الذي تعرض للدين؟ لا شك في أنّه مدسوس من قبل جهات غامضة، وأعداء خطيرين: «ماسونية - شيطانيّة»، يسار دولي، إلخ. لاحظوا كم أنّ العنوان بحد ذاته تهويلي، وأجوف، ومضلل، وتعميمي. «التعرّض للديانة» فعل خطير، مشروع مؤامرة، عمل متعمّد ومدروس ومنهجي، وهو أثقل من أن يحتمله نص من كلاسيكيّات المسرح اللبناني الحديث، يحمل توقيع الراحل عصام محفوظ (1939 ـ 2006)، أخرجته ـ قبل أسابيع طويلة ـ فنّانة مقتدرة هي لينا خوري! من يعرف نصوص الكاتب، وتجربة المخرجة، لا يمكنه أن يتوقّع ـ حتّى إن لم يشاهد المسرحيّة - أننا أمام ثنائي هدّام من مخططاته ضرب ديانة معيّنة. المشكلة أن الطفيلي الذي صوّر مشهداً وعزله عن سياقه، وسرّبه لموقع فضائحي يلوّث الاعلام والديمقراطيّة، لم يفقه شيئاً من المسرحيّة. وهمّه الوحيد اثارة النعرات والفضائح. المشكلة أن «التي» كتبت مطوّلة تحريضيّة حرّفت فيها الوقائع وشوّهتها، لم تشاهد المسرحيّة غالباً، وأخر همّها المسرح، وآخر همّها الدين. ما يبحث عنه صائدو الجيف هو تحريك الاهواء والغرائز، وتهييج الرأي العام، وتحقيق الاقبال. المشكلة أن المواقع الاعلاميّة التي تناقلت الخبر، لا تعرف شيئاً عن المسرحيّة، ومع ذلك لم تدقق، ولم تتحفّظ، ولم تختر عباراتها. المشكلة أن رجل الدين الذي يحنّ إلى «محاكم التفتيش»، ويرى خطراً على الدين في كل مكان، هو أيضاً لم يشاهد المسرحيّة، ولا يعرف شيئاً لا عن عصام محفوظ، ولا عن سرحان بشارة سرحان أو أنطون سعادة أو فرج الله الحلو. المشكلة أن جهاز الرقابة، بسبب عبثيّة النظام اللبناني وهشاشته وبنيته العقيمة، يتحوّل إلى خادم مأمور لدى الطوائف، التي عليه أن يراعيها ويرضيها جميعاً! ماذا عن المسرح في كل ذلك؟ ماذا عن الابداع؟ بيروت التي تفقد روحها يوماً بعد آخر، تعيش على الاشتباه بالآخر، والخوف من الاختلاف والنقد والسخرية. وتمنع المسرح بإسم... «الدين»! أي دين يا أولاد الحلال؟ المسرحيّة موضوع الضجّة الفارغة، هي «لماذا رفض سرحان سرحان ما قاله الزعيم عن فرج الله الحلو في ستيريو 71» التي قدّمها عصام محفوظ في بيروت مطلع السبعينيات، متأثّراً ببيتر فايس والمسرح التوثيقي. لكن المسرح الذي كانت تحتفل به بيروت السبعينيات صار تعرّضاً للدين في زمن داعش وأخواتها. المشهد الاحتفالي الهاذي الذي يمثّل جنازة شهيد في المسرحيّة، أمام المذبح، ليس موضوعه الدين أساساً. لكن الأب عبدو أبو كسم الذي يهوى النقد الفنّي في أوقات فراغه، لا يحسن التفريق بين «الخيال» والواقع، ولا يترك فرصة إلا ويمارس فيها رياضته المفضّلة: أي التهويل الاعلامي. قبل أسبوعين كشف مؤامرة شيطانيّة في مسبحة معروضة في واجهة محل حلاقة، بتحريض من Otv للأسف. واليوم يعلنها حرباً على مسرحيّة لا يعرف عنها شيئاً. ماذا حلّ بالناس يا هو؟ إنّه عارض معروف لدى الاقليات المذعورة والمضطهدة والمقهورة التي تروح تمسخ مضطهدها حتى تشبهه بالكامل. إنّها الدعوشة يا أصدقاء. علينا أن نوقف هذه اللعبة القاتلة، وإلا لن يعود عندنا فكر ولا فن ولا حضارة. ليت الأبونا يروّقها قليلاً، ويخلع عنه عباءة المطاوع التي لا تشبه تقاليده الأصيلة. ليته يكون على مستوى التراث النهضوي والعقلاني والتنويري المسيحي في الشرق. ليته يقرأ مارون عبّود كي يهدّئ أعصابه، ويترك التكفير والتخوين للجراد الأسود. إن الإيمان أقوى من كل شيء. إن أهل النهضة والفكر والفنّ يتسع صدرهم وعقلهم لكل أشكال التعبير. ننتظر بفارغ الصبر أن تعيد لينا خوري تقديم «لماذا؟» خارج حرم الجامعة، بمباركة الأمن العام، كي نتلقّف، في عاصمة النهضة والتنوير، هذه التجربة النوعيّة، ونحتفل بالاستمراريّة والتكامل بين أجيال المسرح اللبناني.

من العرض

الانحطاط اللبناني «يحاكم» عصام محفوظ

زينب حاوي

في 28 تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، أسدل مسرح «غلبنكيان» في «الجامعة اللبنانية الأميركية» الستار على مسرحية «لماذا رفض سرحان سرحان ما قاله الزعيم عن فرج الله الحلو في ستيريو 71؟» (الأخبار 2015/11/19) للشاعر والكاتب المسرحي اللبناني عصام محفوظ (1939-2006) التي أعادت إخراجها لينا خوري بعد مرور 44 عاماً على تقديمها، كتحية لرائد المسرح اللبناني الحديث بعد مرور 10 سنوات على وفاته.

**لم يكن إختيار هذا العمل عبثياً، بل جاء ليخاطب الراهن اليوم، مع إستمرار الستاتيكو السياسي والإجتماعي منذ كتابته الى اليوم. المسرحية سياسية عبثية بامتياز، تقدم ثلاث شخصيات نضالية كان لها الأثر في الحياة السياسية: المناضل الفلسطيني سرحان سرحان الذي اغتال السيناتور الأميركي روبرت كينيدي عام 1968 احتجاجاً على دعمه لإسرائيل، القائد الشيوعي فرج الله الحلو الذي قضى تحت التعذيب في سوريا نتيجة رفضه لتقسيم فلسطين. وأخيراً، الزعيم أنطون سعادة مؤسس «الحزب القومي السوري القومي الإجتماعي» والمدافع عن فلسطين، الذي أعدم في لبنان عام 1949. ثلاث شخصيات سياسية وطنية، وضعتها خوري ضمن سينوغرافيا وقالب جديدين، يختزل نضالاتها التي ظلت فردية ولم ترق الى العمل الجماعي الثوري. عبر هذا العمل، تطل خوري على الحاضر والراهن، وتلامس ما حصل في الثورات العربية، وما حدث أخيراً في لبنان من حركة شبابية إحتجاجية ضمن سردية حاسمة بالعجز التام عن الإنقلاب على الواقع والستاتيكو السائد كما رآها محفوظ في كتابته لهذه المسرحية في فترة الستينيات (عرضت عام 1971). تقدم خوري ذلك في قالب يجمع بين الواقع والفانتازيا، والكوميديا والتراجيديا. في "ستيريو 71"، تصوّر المجدّد المسرحي العالم العربي على شكل ملهى ليلي، سرعان ما يتحوّل الى محاكمة لهؤلاء المناضلين... هذا المكان الذي يهرب فيه الساهرون من واقعهم المأزوم الى عالم اللذة والمتعة، ساخرين من واقعهم وقيمه. هذا البعد التاريخي النضالي الذي أرادت المخرجة اللبنانية إحياءه وتعريف طلابها في الجامعة إلى أشهر مؤلف ومجدّد مسرحي، قزّم في موقع «ليبانون ديبايت» الى حدّه الأقصى! تعاطى معه الموقع الإلكتروني بقلة مهنية ودراية وإحاطة: «بالفيديو.. مسرحية لبنانية تهين المسيحية وبطلها ممثل معروف» هكذا عنون الموقع أول من أمس مقاله الذي وصفه كثيرون بـ «الأصفر»، مشيراً إلى أنّ العمل يندرج ضمن «الإساءة» الى الدين المسيحي، بإقتطاعه مشهد القداس الديني من المسرحية واعتباره «مهزلة». اللافت في المقال (إن صح تصنيفه بذلك) لوم الممثل طلال الجردي الذي يؤدّي دور الكاهن بأنه «لا ينتمي الى الديانة المسيحية»! ومع ذلك أورد المقال أنّ الجردي لم يتوان عن المشاركة «بسخرية من الطائفة المسيحية»! وبأسرع من البرق، تحرّك «المركز الكاثوليكي للإعلام»، وأصدر بياناً أمس استنكر فيه هذه «المشهدية»، وأخبر القرّاء بأنّ رئيسه الأب عبدو أبو كسم قد تواصل مع المديرية العامة للأمن العام اللبناني واتفق معها على «عدم عرض المسرحية في أي مكان مجدداً قبل الإطلاع عليها». أبو كسم أطلق حكمه على العمل من خلال هذه الجزئية من دون حتى مشاهدة العمل، بل اكتفى بما ورد في «ليبانون ديبايت». وقال أبو كسم لـ«الأخبار» إنّ الإعتراض ليس «على مضمون المسرحية»، بل على مشهدية القداس التي «اثارت حفيظة واستنكار كل المسيحيين». الأب رأى أنّ هذه المشهدية بما احتوته من «كلمات وتراتيل» عرضت بشكل هزلي مسّت «بأقدس المقدسات». وبرغم عدم مشاهدته للمسرحية بشكل كامل، واتكائه فقط على الشريط المعروض منها، وبرغم فكرة أنّها تقدم «رسالة سامية» من خلال الحديث عن الذاكرة النضالية لبعض الشخصيات، أبعد ابو كسم عنها كل غاية فنية، قائلاً «حتى لو كانت ساخرة مش على حساب المقدسات».

> أسفت لينا خوري لتدني نسبة الوعي، مؤكدة أن المسرحية ستعرض قريباً

رئيس «المركز الكاثوليكي للإعلام»، وضع ما يحصل اليوم، ضمن مخطط وشبكة تقف وراءها «منظمات صهيونية» بغية «إثارة النعرات الطائفية». واشترط أبو كسم من جهة أخرى مشاهدة المسرحية مع جهاز الأمن العام ليتقرر بعدها ما إذا كان سيسمح لها بالعرض أم لا في أحد مسارح بيروت في شهر آذار (مارس) المقبل.

وفي إتصال مع «الأخبار»، أكّد رئيس مكتب شؤون الإعلام في «الأمن العام» العميد نبيل حنون أن المديرية وافقت على المسرحية بناء على نصها، ولم يظهر شيء يتعارض مع «المسلّمات المسيحية». ولدى سؤالنا عن إمكانية منع العمل في حال عرضه مستقبلاً، ترك العميد الإجابة مفتوحة عبر قوله «لكل حادث حديث».

هذا الإجتزاء والفبركة والتشويه لعمل تاريخي نضالي عرض في السبعينيات من توقيع أهم مسرحي لبناني، ترفضه لينا خوري رفضاً باتاً، وتضعه ضمن خانة "سوق الإتهامات والجلد"، التي باتت تشبه "داعش". اللوم الكبير للمخرجة اللبنانية كان على تدني نسبة الوعي عند اللبنانيين الذين صدقوا هذه الشائعة المعتمدة في الأصل على جزئية صغيرة ضمن سياق مسرحي وسردي واسع، يحكي قضية فلسطين. وفي إتصال مع "الأخبار"، أكدّت خوري أن المسرحية سيعاد عرضها في "مسرح المدينة" في آذار (مارس) المقبل. ولدى سؤالنا عن شرط "المركز الكاثوليكي للإعلام" لإذن العرض، لفتت الى أن "الأمن العام" وافق سابقاً على العمل، وأسفت لتدخل السلطات الرقابية في الأصل، وتضاف اليها اليوم السلطة الدينية، لكنها تختم: "هيدي حالة البلد للأسف".